طائفة الإخوة البولندية "دراسة عقدية وصفية"

إعداد

د.عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الميمان

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في قسم العقيدة

والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم

ملخَّص البحث

تناول هذا البحث طائفة السوسينانيَّة، من حيث نشأتها وتأريخها وأهم عقائدها وشخصياتها، هذه الطَّائفة المثيرة للجدل في التَّأريخ النَّصراني الحديث، خاصَّةً فيا يتعلَّق بموقفها تجاه أهمِّ العقائد الأساسيَّة للنَّصرانيَّة؛ مثل: الصلب، والتَّجسُّد، وتحريف الكتاب المقدَّس لدى النَّصارى، حيث إنَّها لا تؤمن بالتجسُّد، ولا الكفَّارة، ولا التَّثليث، ولا العشاء الرَّبَّانيِّ على الهيئة التي يؤمن بها كافَّة النَّصارى في العالم، بل يقترب أتباعُها من الاعتقاد بوحدانية الله كخالق متفرد كسائر الطوائف التوحيدية، كما يقاربون التَّصوُّر الإسلاميِّ للمسيح بشكلٍ كبيرٍ، مع وجود نزعةٍ عقلانيَّةٍ، تترك بصمتَها واضحةً على ذلك الاعتقاد.



Abstract

The Polish Brotherhood Community, A dogmatic, descriptive study

Thesis Abstract

This research deals with the Socinianism community, in terms of its origin, history and its significant doctrines & dignitaries, this controversial community in the modern Christian history, especially with regard to its attitude towards the most fundamental doctrines of the Christianity such as crucifixion and Incarnation and alteration of holy scripture of Christians, as it does not believe in incarnation nor in atonement, doctrine of the Trinity, or the Lord's Supper, the way all the Christians throughout the world believe in, but its followers are significantly closer in their perceptions about Christ to the Islamic one, with a rational tendency that leaves its clear mark on that belief.



المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد لفت انتباهي كباحثٍ إحدى الطَّوائف التي خرجت عن سياق العقيدة النَّصرانيَّة الكنسيَّة، التي يمتدُّ تأريخها إلى قرابة الألف وسبعمائة عامٍ، فإنني أجد أنَّ العقيدة النصرانية – بتاريخها الطويل – تضم طوائفَ كثيرة عقائدها متناقضة، فالنصراني في ذلك التأريخ الطويل يمكن إطلاقه على تلاميذ المسيح، وعلى من بعدهم من الطَّبقة الثَّانية التي تضمُّ أهمَّ شخصيَّة نصرانيَّة على الإطلاق، وهي: (بولس)، ويطلق على من بعدهم ممن تمَّ تعميدُه بعد وفاته مثل: (قسطنطين)، وعلى طوائفَ كثيرةٍ متناقضةٍ، منها: من ينكر الصَّلب، ومنها: من ينكر التَّجسُّد، ومنها: من ينكر قدسيَّة الكتاب دون وقوع تحريفٍ فيه، ومنها: من يطلق على كل من اعتقد هذا أو بعضه بالمبتدعة دون أن يخرجَه من المسيحيَّة.

ولفت نظري من بين تلك الطَّوائف إحدى الطَّوائف الحديثة نسبيًّا، وهي طائفة: (السُّوسينانيَّة)، وهي طائفةٌ تزخر بالمعتقدات التي خرجت عن نسق النَّصرانيَّة الكنسيَّة، وتجاوزت الخطوط الحمراء في العقائد الأساسيَّة، التي يدين بها أغلبُ نصارى الكنائس في العالم، ولذا حاولت أن أضيف لها هذه الدِّراسة العقديَّة الوصفيَّة، لعلَّها تكون إضافة جيِّدة للبحوث في هذا المجال الذي قصرت فيها الكتابات العربيَّة العقديَّة بشكلٍ كبيرٍ.

وأسأل اللهَ أن يكون هذا البحث مفيدًا لي وللإخوة القرَّاء، وأن أكونَ وُفِّقت فيه لتقديم نتائجَ جيِّدة قد تهدي باحثًا عن الحقِّ، أو تُنير الطَّريق لمسترشد للمنارة.

مشكلة البحث:

طائفة الإخوة البولنديِّين أو الطَّائفة السُّوسينانيَّة إحدى الطوائف النصرانية التي انتشرت أفكارها في أوروبا بعد عصر النهضة، وامتدت جذور أفكارها إلى أمريكا في العصر الحاضر، فهي تمثل أحد الاتجاهات الفكرية في التيار النصراني الذي يؤمن بالنصرانية كديانة، وبمقدساتها مثل: الرب والمسيح والإنجيل، إلا أنه يخالفهم في تفاصيل العقائد الكبرى مثل:

الإيمان بالتثليث والفداء والخلاص، فهل يتوافق اعتقاد تلك الطائفة مع اعتقاد الطوائف الكبرى الأكثر تأثيرًا في الفكر المسيحي؟ وما موقفهم من الكنائس النصرانية التقليدية السائدة التي تسيطر على أغلب الاتجاه النصراني المعاصر؟

حدوده:

سيكون مجال البحث الموضوعيِّ هذه الطَّائفة التي تشمل الاعتقاد السُّوسيانيِّ، وبناءً على التَّحديد الموضوعيِّ لهذا البحث سيكون المجالَ الزمنيَّ القرنانَ السَّادسَ عشر، والسَّابعَ عشرَ الميلاديان، بحكم أنها فترة النُّشوء والازدهار للإخوة البولنديين، وسيكون الحدُّ المكانيُّ هي: (بولندا)، حيث هي المكان الرئيس للطائفة.

الدِّراسات السَّابقة:

على الرغم من تعدد الرَّسائل العلميَّة العربيَّة والبحوث حول الطَّوائف النَّصرانيَّة؛ فلم أجد في فهارس الرَّسائل العلميَّة دراساتٍ خاصَّة بهذه الطَّائفة، خاصَّة في جامعات المملكة العربيَّة السعوديَّة، مع العلم أنَّ هناك مجموعةً من الرسائل والبحوث تطرَّقت إلى بحث التـأريخ الكنسي الحديث بشكلٍ عامٍّ، أو تخصَّصت بإحدى الطَّوائف الكبرى، مثل الدِّراسات التي طرَّقت لدراسة الإصلاح الطَّائفي البروتستانتي(1).

الأهداف العامَّة للبحث:

أهميَّة البحث:

تكمن أهميَّة البحث حول الطَّائفة السوسينانية، فيما يأتي:

1- أنها من أهمِّ الطَّوائف الحديثة من حيث بقاء أثرها على الطَّوائف الموحدة في العالم، ومن حيث التيَّارات والشَّخصيَّات التي تأثَّرت بها.

2- أنها ذات معتقدات متميِّزة تختلف عن الاعتقاد السَّائد الكنسيِّ، مثل: إنكار التَّثليث، والفداء، والخطيئة الأصليَّة.

---

(1) مثل رسالة الدكتوراة: طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها دراسة مقارنة: دراسة مقارنة، من إعداد: د. إنعام محمد عقيل، وهي ممنوحة من جامعة الملك سعود، وفيها تسلسل جيد واستقصاء مميز لطوائف البروتستانت، ط1 – 1435هـ.

٣- افتقار المكتبة البحثيَّة العربيَّة المسلمة إلى المعلومات التَّحليلية حول هذه الطَّائفة وآراء الباحثين المسلمين فيها.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث لدراسة عقيدة هذه الطَّائفة المنهجَ التَّأريخيَّ الوصفيَّ، مع محاولتي -قدر الإمكان التحلي- بالموضوعيَّة، والعدل مع المخالف في الطَّرح، واقتصرت في المنهج على منهجيَّة الوصف العقديِّ، مع إضافة التَّعقيب النَّقدي، وجمعت المادَّة العلميَّة من مجموعةٍ لا بأس بها من المصادر والمراجع، منها: المصادر العربيَّة، ومنها: مصادر أجنبيَّة؛ بعضها رسائل وأبحاث في جامعات غربيَّة، وكثيرٌ منها موسوعات متخصِّصة في النَّصرانيَّة وأطيافها، ومنها: أبحاث مقدمة لندوات، وكلُّها دوَّنتها في قائمة المصادر، وأشرت لبياناتها عند ذكرها، مع العلم أنني ترجمت ما نقلته، وحاولت قدر الإمكان نقلَ المعنى الذي أراده المؤلِّف بدقَّة، ولذا قد يلاحظ القارئُ في بعض سياقات المنقولات -وإن كانت قليلة- بعض الغرابة في الأسلوب، وذلك تبعًا للأمانة في النَّقل، والحفاظ على المصطلح، وليس العيُّ في طريقة الكتابة العربيَّة.

ولأهميَّة الإشارة إلى جزء من المصادر وهو: "مواقع الإنترنت" فقد رجعت إليها؛ إمَّا عند تعذُّر حصولي على المصدر الرئيس، أو إذا كان الموقع مصدرًا في حدِّ ذاته؛ مثل: المَوسُوعة الكاثوليكيَّة(١)، مواقع أعضاء هيئة التَّدريس التي نشروا فيها أبحاثَهم أو مواقعَ المؤتمرات حول هذه الطَّائفة، والتي نشرت أبحاثًا علميَّة حولها.

كما أنني أشير إلى أنَّ هذه النَّوعيَّة من البحوث الموجَّهة لشريحة من المتخصِّصين قد لا يكون فيها التَّعريف بالبدهيَّات عند أهل الفنِّ، مثل: التثليث، والصَّلب، والفداء، وذلك

---

(١) الموسوعة الكاثوليكيَّة هي أحد أهمِّ مصادر المعرفة الكاثوليكيَّة على الإنترنت، ساهم في الأصل في تحريرها أكثر من: (١٤٥٢) محررًا من متخصِّصي المسيحيَّة في العالم بتنظيم شركة روبيرت أبيلتون عام: (١٩١٢م)، وتمَّ رفعها على الفضاء السيبراني من خلال فترات طويلة، دشنت عام: (١٩٩٧م)، بواسطة شركة.The Encyclopedia Press، Inc، انظر الموقع الرسمي: http: //www.newadvent.org.

لكونها إحدى أبجديَّات فهم التَّخصُّص.

الهيكلة العامَّة للبحث:

مقدمة: كما تحتوي على أهداف الموضوع، والخطَّة البحثيَّة.

الهيكلة العامَّة للبحث: تشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأوَّل:** النَّشأة التَّأريخية.
- **المبحث الثَّاني:** أهم المعتقدات.
- **المبحث الثَّالث:** تعقيب نقدي.
- **خاتمة**: فيها المستخلص من البحث.
- **فهرس للموضوعات:** في خاتمة البحث.



المبحث الأوَّل

النَّشأة التَّاريخيَّة

مدخل:

مصطلح السوسيانيَّة يطلق على إحدى أهمِّ الطَّوائف التَّوحيديَّة في تأريخ النَّصرانيَّة الحديث، وهو أحد الأقسام الثَّلاثة للموحِّدين النَّصارى، حيث يقسِّم علماء الأديان مصطلح التَّوحيد بحسب انتماء طوائف النَّصارى إلى ثلاث طوائف رئيسيَة: كل منها لا علاقة لها بالأخرى، الأولى: مكافحة التثليث في العصور القديمة (مثل: الآريوسية، والأبيونية)؛ والثانية: السوسينيانية، والثالثة: عقيدة الكنائس الموحّدة في الشَّمالية(١).

والطَّائفة التي تمثل المعتقدَ السوسيانيَّ في فترة تكوينه وازدهاره ونشر أفكاره ثم اندثاره من بولندا؛ هي: طائفة الإخوة البولنديين، وإن كان أهل التَّخصص لا يفرِّقون بينهما مطلقًا إلا من جزئيةٍ صغيرةٍ، وهي أنَّ تسميتهم بالإخوة البولنديين هي السَّائدة، وهي المرغوبة لديهم، بخلاف السوسيانية، فلا يرغبون في إطلاقها عليهم، وهذا التَّقسيم هو السَّائد، وإن كان هناك تقسيم آخر يرى أنَّ هذه الطَّائفة هي امتداد للاتجاه الآريوسي في التأريخ المسيحيِّ مع تطوير كبير في المعتقد الآريوسي(٢).

---

(١) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York: Routledge.p663.

(٢) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http://www.victorianweb.org/religion/socinianism.html

وهذه الطَّائفة الموحدة تنتسب إلى: "يوليوس سوتزيني" الذي عاش بين عامي: (١٥٢٥-١٥٦٢)م، مؤسس الطَّائفة الأوَّل، وهو لاهوتيٌّ، وكاتبٌ كنسيٌّ، وقد نشأت في إيطاليا في القرن السَّادس عشر الميلادي، ابتداءً في المجمع السري، ثم المرحلة العلنيَّة في بولندا، وبالتَّحديد في قرية راكوف، وصار أكثر أتباعها في تلك القرية، قبل أن يتمَّ ممارسة الحرمان عليهم عام: (١٦٣٨م)، فهرب كثيرٌ من منتسبي الطَّائفة إلى ترانسلفانيا، وهولندا، وإنجلترا، وغيرها[١].

وإذا تم اعتبار مذهب التَّوحيد الذي أسَّسه ميخائيل سيرفيتوس[٢] في جنيف هو المذهب الأصل الذي طورته هذه الطائفة، وهو عقيدتها الأساسية؛ فإنَّ الأداة التي استخدمها يوليوس هي العقلانيَّة كمنهج قابل للروحانيَّة النَّصرانيَّة السَّائدة، حيث تأثَّرت بالاتجاه العقلاني السَّائد في ذلك العصر، مما ساعدها أكثر على التخلُّص من الاتجاهات الأخرى غير الموحدة.

ويمكن اعتبار الرجل المؤسس في تاريخ الحركة من حيث تغذيتها بالأفكار ونشرها هو: "فاوستوس سوسينوس" الذي عاش بين عامي: (١٥٣٦-١٦٠٤م)، "وهو ابنُ أخ يوليوس المؤسِّس الأوَّل[٣].

كما أنَّ من أهمِّ رجالاتها: "غريغوري بول"، و"ماران تشيكوفيتش"، و"جورج تشومان" وهم الذين أسَّسوا حركة الإخوة البولنديِّين - التي هي المسمَّى الرئيس لهذه الطَّائفة

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١٩٣٠).

(٢) ميخائيل سيرفيتيوس، طبيب إسباني، ومصلح كنسي، وأحد أهم مكافحي التَّثليث في عصر الإصلاح الكنسي، بل أهم شخصيَّة نصرانيَّة إصلاحيَّة على الإطلاق، أنكر التثليث، وربطه بعبادة الأوثان، ودعا إلى التَّوحيد، وقرَّر أنَّ الروح القدس هو قوَّة الله داخل القلوب، كما أنَّ من أهم أفكاره التي تبناها؛ القول بأن مجمع نيقية هو إهانة لله سبحانه وتعالى وللمسيح×. أمر جون كالفن الإصلاحيُّ البروتستانتيُّ بحرقه عام: (١٥٥٣م)، وعلى إثر ذلك الحرق ثارت مسألة الجدل البروتستاتنتي حول عقوبة الحرق. انظر: دائرة المعارف البريطانية:

https//www.britannica.com/biography/Michael-Servetus.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، لوريمر جون، ترجمة عزرا مرجان، ط١، دار الثقافة، القاهرة، (ص٩٢)، وانظر كذلك:

https: //people.wku.edu/jan.garrett/socinus.htm.

-التي تبنَّت عقيدة السُّوسيان في عام: (١٥٦٢م)[1].

مرحلة النَّشأة: المرحلة السِّريَّة:

بدأت هذه المرحلة عام: (١٥٤٦م) حينما عُقِدَ مجمع سري في أبرشية البندقيَّة في إيطاليا، وناقش المجمع فيه عقيدة الثالوث، وكان هدف المجتمعين الدعوةَ إلى ما يشبه التيار الإصلاحي فحسب، وليس ما عرف لاحقًا بالمبادئ السوسيانية، وإنما كان هدف الاجتماعات السرية ما أسمته الموسوعة الكاثوليكية "مكافحة الثالوثية".

في تلك المرحلة يمكن تمييز اتفاق المؤسسين للطائفة بإنكار التثليث، مع عدم وجود موقف واضح تجاه العقائد النصرانية الأساسية، وحتى عام: (١٥٧٠م)، حين انفصل السوسينيون عن الإصلاحيين، من خلال تأثير جون سيجيسموند، وبدأوا التَّمهيد للمرحلة القادمة، وهي أن يؤسِّسوا أنفسهم في مدينة روكوف (Racow) في دولة بولندا، وكانت في ذلك الوقت من الدُّول المتسامحة مع الإصلاحيين بشكلٍ كبيرٍ[2].

المرحلة العلنيَّة:

بعد تفكيك المجمع السري انتقل مؤسِّسُها فوستوس إلى بولندا، التي أصبحت لاحقًا المحضن الأساسي لهم ، وطبع أوَّل كتاب لهم باللغة البولنديَّة، ثم باللغة الإنجليزية، وكانت تلك هي نقطة التحوُّل الحقيقيَّة لهذه الطَّائفة خاصَّةً بعد نشر فوستوس كتابه، وأصدر الإخوة البولنديون كتاب: "التعليم المسيحي أو العقائد الراكوفية"، حيث طبع عام: (١٦٠٥م)، وكان هو الميثاقَ الأساسيَّ لعقيدة الجماعة السوسينانية.

نجح فوستوس، وهو المؤسِّسُ الأصغرُ للطَّائفة في تحويل هذه الحركة إلى نظامه اللاهوتي

---

(١) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge.p663.

وكذلك: دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Unitarianism.

(٢) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http: //www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

الخاصِّ وفق العقائد الإصلاحيَّة التي سأشير لها بالتَّفصيل في المبحث القادم، حيث استقرَّت تلك المبادئ بعد مرور خمسين سنة على وصوله استقرارًا تامًّا كعقيدة مستقلة لها ملامحُها التي تميزها عن أيِّ حركة إصلاحيَّة نصرانيَّة في ذلك العصر، وتصف الموسوعة البريطانية ذلك بأنَّ الكنيسة التَّابعة لهم كانت تتمتع بحياة رائعة في بولندا، وبلغ عدد التجمُّعات فيها حوالي: (٣٠٠) تجمعٍ كنسي، وكان المركز الثقافي للحركة البولندية في راكوف، حيث أسَّس السوسينيون جامعةً ناجحةً، ومطبعةً مشهورةً، نشرت العديد من الكتب والكتيبات السوسيانية، وهي التي أصدرت كتاب التَّعاليم المسيحيَّة عام: (١٦٠٥م)، الكتاب الرسمي لعقيدة الإخوة البولنديين [١].

كما أصدرت تلك المطبعة كميَّةً هائلةً من الأدب الدِّيني، دعمًا لعقيدتهم جُمعت عام: (١٦٣٨م) تحت عنوان: "Bibliotheca Antitrinitarianorum"، ويعني: "مكتبة مكافحي التثليث الروماني" [٢].

مرحلة التفكيك والتهجير:

لم يَــرُق هذا التطوُّر العقليُّ والفكريُّ لطوائف النَّصرانيَّة الأخرى، ففي عام: (١٥٤٢م) أقام الكاثوليك محاكم للتفتيش لهذه الطائفة [٣].

وليس الكاثوليك فحسب! بل حتى جيرانهم من الحركات الإصلاحيَّة الكبرى؛ مثل: الأنجليكان، واللوثريين، ففي: (١٦٣٨م) أغلق البرلمان البولندي الأكاديميَّة والصَّحافة في بلدة راكوف، وفي عام: (١٦٥٨م) أعطى البرلمان هذه الطَّائفة خيارًا مفصليًّا، إمَّا التزام العقيدة الكاثوليكيَّة الرُّومانيَّة، أو النَّفي القسري، أو الموت، ثم حصلت بعد هذه الاضطهادات هجرةٌ جماعيَّةٌ للإخوة البولنديين، حيث طردوا من بولندا من قِبَل الملك

(١) لما سبق انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية:

https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge.p663.

الكاثوليكيِّ شديدِ العداء: "جون كازيمير"[(١)].

كانت هجرتهم بشكلٍ رئيس إلى ترانسيلفانيا (أحد أكبر أقاليم رومانيا)، وهولندا، وألمانيا، وإنجلترا، وبهذه الهجرة انتهت تلك الطَّائفة الموحدة في بولندا، بينما نجت بعض الجماعات السوسينية الصَّغيرة في أوروبا حتى القرن التَّاسع عشر، وخاصَّة في ترانسيلفانيا[(٢)] كما استمرَّ اضطهاد أتباع هذه الحركة في تلك البلدان التي هاجروا إليها، حتى تم إحراق اثنين من أتباع هذه الحركة في إنجلترا عام: (١٦١١م)[(٣)].

مرحلة ما بعد الإخوة البولنديين:

انتشرت عقائد الطائفة على يد مجموعة من الإصلاحيين المؤيديين للسوسيانية من الذين عاشوا خارج بولندا، ففي إنجلترا كان أحد أهمِّ أعلامهم هو: "يوحنا بيدل" (١٦١٥-١٦٦٢م)، وهو سوسياني إنجليزي، أقنعته معرفته بالنَّصِّ اليونانيِّ للعهد الجديد أنَّ عقيدة الثَّالوث لم تكن ذاتَ أصلٍ كتابيٍّ، ونشر معتقداته التَّوحيديَّة في اثني عشر فصلًا مع الكتاب المقدس، وأعمالًا أخرى متفرِّقة، تأثر بها كثيرٌ من الاتجاهات المؤيدة للإصلاح لاحقًا، كما تأثر القرَّاءُ الإنجليز باتجاه التوحيد من خلال الكتب السوسيانية التي انتشرت في هولندا، على الرغم من أنَّ قانون التَّسامح لعام: (١٦٨٩م) استبعد الموحدين بأطيافهم؛ لكن لم يدم ذلك المنع طويلاً، إذ تنامى داخل كنيسة إنجلترا تأييدٌ قويٌّ لهذا المذهب، وبلغ ذلك التأييد ذروته في أواخر القرن الثَّامن عشر على يد ثاوفيليوس ليندسي، حيث أسَّس أوَّل جماعة توحيديَّة إنجليزيَّة رسميَّة في لندن عام: (١٧٧٤م)، وانتشرت بعدها التوحيديَّة على يد: "جوزيف بريستلي" (ت عام ١٨٠٤م)، والذي كان له تأثيرٌ عميقٌ في نشر العقلانيَّة المسيحيَّة، والتَّأكيد

(١) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York: Routledge.p663.

(٢) انظر:

JOHN M'CLINTOCK, AND JAMES STRONG Cyclopaedia of Biblical, theological, and ecclesiastical literature , S.T.D.NEW YORK :HARPER & BROTHERS, PUBLISHERS, FRANKLIN SQUARE. 1880 AD.see: 825.

وانظر كذلك: السوسينانية، دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Socinians.

(٣) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge.p663.

على إنسانيَّة المسيح، وعلى إثر تلك الأفكار نشأ مجلسُ الكنائس الموحدة البريطانيَّة في أوَّل القرن العشرين الميلادي(١).

كما انتقلت أفكار السوسيانية إلى أمريكا على يد: "وليام اليري تشانينج" (ت١٨٤٢م)، حيث كانت تصوُّرات هذه الطائفة إحدى السِّمات المميزة للنَّصرانيَّة الأمريكيَّة منذ بدأ الجمعيَّات الصَّغيرة للموحدين إلى أن اندمجت الجمعيَّة الموحدة الأمريكيَّة، والكنيسة العالميَّة عام: (١٩٦١م) لتشكِّل أحد أكبر تجمُّعٍ كنسيٍّ للموحدين في العالم(٢).

ويمكن القول بأنَّ الطَّائفة البولندية بهذا الاسم غير موجودة في الوقت الحاضر، لكن بقيت أفكارها المؤثرة في كثير من الدُّول التي يشكل فيها النصارى أغلبية، خاصَّة وأنَّ الطَّوائف النَّصرانيَّة منذ عصر الإصلاح إلى يومنا هذا، وهي تزيد من سقف الحريات بشكلٍ كبيرٍ لأتباعها دون أن تصادر آراءهم على الطَّريقة الكنسيَّة القديمة، وإنما تمارس عليهم مجرَّد الحرمان أو التكفير فحسب.

كما أنَّ أثرَ هذه الطَّائفة واضحٌ بشكلٍ كبيرٍ في كلِّ من نزع باتجاه الإصلاح الكنسيِّ، حيث تميَّزت الكثير من الطَّوائف التي اتجهت في هذا المنحى بتأثُّرهم بالتَّفكير السوسياني في اتجاهه العقلاني مقابل الكنسية السَّائدة.

ولذلك فهم الأسلاف الملهمون لكلِّ الكنائس المضادة للتثليث بعد ذلك، خاصَّة في أمريكا التي أصبحت ملاذهم الآمن بسبب سقف الحريَّات التي مُنحت هناك لهذه الطَّائفة بسبب تأثُّر أكبر الشَّخصيَّات الأمريكيَّة بنزعتهم العقلانيَّة.



---

(١) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge.p663.

وكذلك: دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Unitarianism.

(٢) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge.p663.

وكذلك: دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/biography/William-Ellery-Channing.

المبحث الثاني

أهم المعتقدات

أثناء الاستعراض الدَّقيق لتفاصيل المعتقدات لهذه الطَّائفة، يمكن أن توضع لها أطرٌ عامَّةٌ توضح معتقدها، خاصَّة فيما يتقاطع مع معتقدات الكنيسة، وفي الحقيقة لا توجد طائفة في العصر الحديث أكثر بُعدًا عن النَّصرانيَّة بمفهومها الكنسيِّ من الإخوة البولنديين، حيث يمكن إبرازُ أهمِّ معتقداتهم(١)، كما يأتي:

١- إنكار التَّثليث، واعتقاد أنَّ الله الخالق هو ذو طبيعة واحدة، لا يجوز وصفه بالأقانيم، ولا انفصال المسيح منه، وإنما بينهما تباينٌ تامٌّ.

٢- إنكار أن يكون المسيح إلهًا، أو حتى سابقًا لخلق العالم، بل هو بشر، خلقه الربُّ، ووالده هو يوسف النجار، وقد ولد ميلادًا معجزًا، كما أنه لا يوجد ارتباط بالطبيعة بين المسيح والربِّ، كذلك لا يوجد أيُّ ارتباط بالطَّبيعة بين المسيح والروح القدس، وأنَّ المسيح مخلوق ليس أزليًّا، ضحَّى بحياته من أجل أن يكون وسيطَ العهد الجديد، وجزاء هذه التَّضحية هو أنه جلس على يمين الله، ويجب عبادته بناءً على هذا الأساس.

ومع الإشارة أنَّ فكرة الميلاد المعجز فيها عدم وضوح اعتقادهم بشكل كبيرٍ، ويظهر أنها غيرُ محرَّرةٍ لديهم بشكل دقيقٍ.

٣- لم يمت المسيح فداءً للبشريَّة من الخطيئة الأصليَّة.

٤- كما أنَّ العذراء ليست هي والدةً للإله بناءً على المعتقدات السَّابقة.

٥- أنكرت هذه الطَّائفة العذاب بالنَّار بعد الموت، واعتقدت أنَّ الأشرار مصيرهم الفناء فحسب.

٦- أبقت على اثنين من الأسرار الكنسيَّة، المعموديَّة، والفصح، بينما أنكرت معموديَّة الأطفال.

٧- أنكرت الاستحالة في العشاء الرَّبانيِّ.

---

(١) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

٨- فسَّروا الروح القدس بأنَّه قوَّة الله وتأييده لأتباع المسيح، وليس أقنومًا أو شخصًا مستقلًّا.

٩- المصدر الأساسي للعقيدة المسيحية هي تعاليم المسيح بصورتها التي تسمى موعظة الجبل(١)، وليست كلامَ بولس ولا غيره.

هذا على سبيل الإجمال، وأمَّا بالتَّفصيل فمعتقدهم في الله الخالق كالآتي:

من خلال معتقدهم الذي بدأت به عقيدتهم وهو إنكار التثليث بالكليَّة، إذ يعتقدون في الربِّ الخالق انفرادَه بالخلق والربوبية، ولا تنكر هذه الطَّائفة التثليث فحسب، بل تؤكِّد أنَّ وحدوية الإله في شخصه وجوهره، ولا تنكر فقط ألوهيَّة يسوع المسيح، بل تؤكِّد أنَّه كان فقط مجرَّد إنسان، واعتقادهم في الله ككائن يتمثَّل في شخصيَّته الأخلاقيَّة، وحصر ذلك في الخير والرَّحمة، ورغبته فقط في سعادة مخلوقاته. وبذلك يستبعدون من شخصيَّته أنَّ القداسة المطلقة التي تدفعه إلى كراهية الخطيئة، وإلحاق الأذى بالمخطئين، كما تعتقد الطَّائفة أنَّ الله عالم، ويتنبَّأ بتصرُّفات مخلوقاته ما عدا بعض الحالات الخاصَّة التي قد تطرأ، أو بعض حالات التَّوقُّعات التي تفيد احتمالَ: "لو لم يقع فكيف يكون!" وسبب ذلك أنَّه كان يؤيدها، وهذا ليس بالضرورة -عندهم - انتقاصًا من علم الله الكلِّيِّ، فهم يعترفون بأنَّ الله يعلم كلَّ الأشياء التي يمكن معرفتها؛ لكنَّهم يؤكِّدون أنَّ الأحداث الطَّارئة لا يمكن معرفتها، حتى من خلال كائن غير محدود كما أنَّ وجهة إنكار تلك التَّفاصيل تتقاطع مع النَّزعة العقليَّة التي ترى في الإنسان الحريَّة الكاملة، ولو عرف الخالق كلَّ شيءٍ -كما يتوقَّعون- لكان ذلك تقييدًا لحريَّته(٢).

وهذا الوضوح لديهم في صورة الاعتقاد البسيط والمباشر في الخالق، يستوجب الانتقال إلى عقيدتهم في المسيح، التي هي في مقابل الاعتقاد الكنسيِّ السَّائد الذي يجعله الأقنوم الثَّاني

---

(١) موعظة الجبل هي شريعة العهد الجديد، وأصلها قصَّة صعود المسيح على الجبل ثم وعظه النَّاس، وتشريعه الأحكام التي اعتمدها المسيحيَّة كشريعة للعهد الجديد، انظرها في إنجيل "متى" الإصحاح الخامس.

(٢) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http://www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

المعبود مع الربِّ الخالق، فهم يعتقدون في طبيعة المسيح تمايزَه التامَّ عن الربِّ جلَّ وعلا، وهذه النُّقطة مثيرة للاهتمام بشكلٍ خاصٍّ لدى هذه الطَّائفة، وبناءً على ما سبق من اعتقادهم في الله أنَّ مفهوم "الله" متمايز عن مفهوم غيره من الأشخاص، وعلاوة عليه لا يمكن أن تكون هناك نسبة بين المنتهي واللامتناهي، وبالتَّالي لا يمكن أن يكون هناك تجسُّد للإله، لأنَّ ذلك يتطلَّب بعض هذه النسبة.

ومع فارق التشبيه، فلا يمكن أن يتوحد أيُّ إنسان مع شخصٍ بشريٍّ، لأنَّه لا يمكن أن يكون هناك وحدة بين فردين بالاستحالة، فكيف يكون ذلك مع الإله.

ولذا يمكن ملاحظة أنَّ الإخوة البولنديين يفسِّرون نصَّ "يوحنا" -الذي يعتمد عليه كلُّ طوائف النَّصارى في اعتقاد ألوهيَّة المسيح- بطريقة مغايرة تمامًا، باعتبار أنَّ المسيح ليس أزليًّا، ولذلك فإنَّ مصطلح "الكلمة" التي وردت فيه في أوَّل فقرة من أوَّل إصحاح، ليست هي "الكلمة" التي وردت في التَّوراة في الإصحاح الأوَّل.

كما يجدر الإشارة أنَّ هذه الطَّائفة أقرَّت بالميلاد المعجز للمسيح بطريقة توحي بالاضطراب في هذا المذهب، وليس إقرارًا كاملًا؛ لكن اعتبرت أنَّ والده يوسف النجار، وله إخوة آخرون من والده! بخلاف طوائف الموحدين الأخرى التي تنكر الميلادَ المعجزَ، وهذا من أدقِّ الفروق التي أدَّت إلى الخلط بينهم في نظر الكاثوليك الذين تغيب عن كثير منهم دقَّةُ الفرق بين الطَّائفتين(١).

فتصوُّرهم له أنه كان نبيًّا مسيحيًّا وكاهنًا وملكًا ظاهريًّا، استمدَّ قوته من الله بوحيٍ، وكلف بمهمة النبوة، والعبادة المقدمة له يجب أن تعطى له فقط كممثل لله، ليس كحقٍّ خاصٍّ به، وينكر النِّظام السوسياني فكرةَ الاتحاد بين الطَّبيعة الإلهيَّة والبشريَّة، فينظر إليه فقط كقدِّيس عظيمٍ، ومعلِّمٍ أخلاقيٍّ(٢).

---

(١) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

(٢) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http://www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

والحقُّ يقال إن تلك الطَّائفة ومع إنكارهم ألوهيَّة المسيح، أو بنوَّته، أو طبيعته الإلهيَّة، إلا أنها ترى أنَّ المسيحَ هو بشرٌ موحى إليه من الله الخالق(١)، يعدونه الوسيط للوحي، والرجل المثالي، وقد يكون له بعض المعجزات؛ لكنَّه مستحقٌّ للعبادة، وهذه إحدى أهمِّ الفروق بينهم وبين سائر طوائف الموحدين النَّصارى(٢).

كما أنَّ العبارة السَّابقة التي نقلتها من مصادرهم نصَّت على وجوب تقديم العبادة له كرجلٍ قدِّيسٍ، ولم أتوصَّل -في الحقيقة- إلى كيفيَّة هذه العبادة التي تقدم له أو تصورهم له حين أداء العبادة، وقد يعنون بها تعظيمه كشخصٍ مقدَّسٍ، وربما الاستشفاع به أو طلب الدُّعاء منه؛ لكن ذلك مع عدم اعتقاد أنَّه جزءٌ من الإله، وإنما وسيط لا غير، وهذا الضلال وإن كان أقلَّ رتبة من نظيره عند طوائف النَّصارى الكنسية الذين يقولون بالتثليث والأقانيم، إلا أنه في التَّصوُّر الاسميِّ أن مجرَّد الاعتقاد أنَّ هناك وسيطًا بين الله والبشر في العبادة هو شركٌ أكبر (٣).

أما مفهوم الخلاص الذي هو أحد الأركان الأساسيَّة في العقيدة النَّصرانيَّة الكنسية، فقد أثر عليه معتقد الطَّائفة بشكلٍ مباشرٍ، حيث أثَّرت وجهة نظر سوسينوس بخصوص شخص المسيح، وطال ذلك الأثر تعاليمه، حيث لم يعد المخلص بالمفهوم الفدائي من الخطيئة الأصلية، وبالتالي طال ذلك كل الأسرار المقدَّسة.

فلا المسيح هو الإله، ولا ابنه، ولا الروح القدس، فقط هو مجرَّد إنسان مخلوق، كما أنَّ وظيفته في الأرض ليست الفادي الذي قتل من أجل إنهاء الخطيئة المتوارثة من آدم.

وهذا انعكس على المعتقدات الأخرى المتعلقة بالفداء؛ مثل: العشاء الرَّبَّاني، والصَّلب وغيرها، وبالتَّالي لا يمكننا -كما تصف ذلك الموسوعةُ الكاثوليكيَّةُ- اعتبار الأسرار كأدوات

(١) انظر: السوسينانية، دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Socinians.

(٢) انظر: كنيسة الله: http: //www.ccg.org/z/P185z.html.

(٣) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http: //www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

تُطبَّق بها ثمار هذا الخلاص للإنسان، من هنا علّم سوسينوس أنَّ آلامَ المسيح كانت مجرَّد مثال لنا، ولذلك فممارسة العشاء الأخير ليست الممارسة التي يتذكَّر فيها الفداء، ويستحضر فيها الشُّرب لدم المسيح أو أكل الفطير لاختلاط جسده، وإنما هو عشاء مجرَّد للشّكر(١).

وهذا الاعتقاد في طبيعة المسيح ليس هو مجرَّد إنكار لطبيعة الذَّات الإلهيَّة التي اعتقدتها سائرُ الطَّوائف النَّصرانيَّة فحسب، بل يترتَّب عليها معنى الصَّلاح وطريقة الخلاص في التَّصوُّر السوسيناني، فهو تأكيد أنَّ وسيلة الخلاص الحقيقيَّة هي التَّوبة والعمل الصَّالح لكلِّ شخصٍ بعينه(٢).

وبالنَّظر إلى معتقدهم في الصَّلب فإنهم يرون أنَّ المسيحَ قُتل، وماتت روحُه أيضًا معه؛ لكن يرون أنَّ من يؤمن به فسوف تُكافأ روحُه فيما بعد إذا ثابر على طاعة أوامر المسيح(٣).

وأثَّر هذا المعتقدُ على عقيدة كفَّارة الخطيئة الأصليَّة بشكل مباشر خاصة مع استخدام المنهج العقلانيِّ مقابل النَّصِّ، وكان من نتائجه المباشرة إنكار التَّثليث واعتبار المسيح بشرًا، وما يتبع ذلك من وجهة النَّظر المغايرة تمامًا للمسيحيَّة السَّائدة، إذ يلزم من ذلك النَّظر إليه كبشرٍ رسولٍ، والنَّظر إلى رسالته بطريقةٍ تختلف عن النَّظر إليه كإلهٍ فدى البشريَّة، ويستندون في ذلك أيضًا إلى مجموعةٍ من الاستدلالات النَّظريَّة، مثل: أنَّ الله يريد سعادة النَّاس، ولا يمكن أن يكلِّفَهم القدوس بأمر الخطيئة الأصليَّة، وهم لم يذنبوا فيها(٤).

كما أنَّ فكرة البعث والعذاب كان فيها تفصيل، وثمَّة خلاف بين المتقدِّمين والمتأخِّرين منهم، فالمتقدِّمون يرون إبادةَ جميع الأشرار، والمتأخِّرون يرون أنَّ هناك حشرًا لجميع الخلائق؛

---

(١) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

(٢) انظر: السوسينانية، دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Socinians.

(٣) انظر: السوسينانية، دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Socinians.

(٤) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http: //www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

لكن كلهم متَّفقون أنَّ الحشر ليس للأجساد، ففكرة إعادة الجسد لديهم منكرة، ويرون أنَّ الاستعادة إنما هي للرُّوح فحسبُ[1].

والحقيقة أنَّ باعثَ تلك المعتقدات -في نظري- لدى هذه الطَّائفة كان التَّسلسل مع العقل إبَّان عصر الإصلاح الكنسيِّ، ففي ذلك الوقت كان مصلحو الكنائس الذين انشقُّوا عن الطَّوائف الكاثوليكيَّة -على اختلاف أطيافهم البروتستانتية- يميلون إلى الإفراط باستخدام العقل مقابل الاعتقاد بتحريف العقيدة الذي كان سائدًا في ذلك العصر.

وبعد انفكاك الاضطهاد البابويِّ للعقل صارت الكنائسُ أكثرَ حيادًا في نظرتها للكتاب، وفي تحليلها لما حدث للعقائد الأساسيَّة التي زيدت بعد المسيح حتى تم تشويهُها بالكامل.

مع أنَّ استخدامَ العقل يتوقَّف كثيرًا حينما تتدخَّل الكنيسةُ حتى وإن كانت بروتستانتيَّةً كما حصل في الشِّقاق الكبير بين البروتستانت، وهذه الطَّائفة حينما تمَّ طردُها من بولندا، بسبب إنكارها؛ للتَّثليث، والكفَّارة، والتجسُّد.

والمقصود من هذا: بيان أنَّ مجرَّد التَّحليل العقليِّ لديهم من دون الخضوع لسلطة الكنيسة أفرز الاعتقادَ بعدم وجودِ التَّثليث، وإنكار الفداء ككفَّارة للخطيئة الأصليَّة، وساعد هذا الاعتقاد ما سبقه من آراء حول عدم وجود أيِّ سلطة عقليَّة لتفسير الكتاب المقدس، بل هي متروكة لكلِّ قارئٍ يستطيع فهمَ النَّصِّ، فأدَّى ذلك إلى اعتقادهم أنَّ نيقية وما بعده من المجامع الخمسة هي أيضًا لا سلطة لها، مع أنَّ المنطق السَّليم لديهم يقرِّر ببساطة أنَّ اعتقادَ المسيح الذي هو واضحٌ جدًّا في الإنجيل يختلف تمامًا عن الاعتقاد السَّائد في الكنيسة.

ولعلَّ هذا ما أشار إليه واضعو موسوعة اللاهوت المسيحيِّ حينما حلَّلوا الاشتقاقَ الذي انتموا إليه في بداية نشوء الطَّائفة، وهو مصطلح: "Anti-Trinitarianism" والذي يشير إلى مكافحة القول بالتَّثليث، وهذه التَّسمية -بحسب رأيهم- ذات معنى جدلي، وليست تسميةً عابرةً.

---

(١) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http: //www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.

كما أشاروا إلى مصطلح: "Unitarian" بأنَّه كذلك غير عابر، ويشير إلى وجود جذورٍ تمتُّ إلى الآريوسيَّة القديمة، مع وجود الفرق بينهم وبين الآريوسيين، إلا أنَّه تمَّ إحياؤه ليكون على الهيئة الخاصَّة بهذه الطَّائفة التي نشأت في أحضان الحركات الإصلاحيَّة، إلا أنَّها تجاوزت إصلاحَ كَالْفِن إلى ما هو أبعد منه، حيث أدَّى الشِّقاق الذي حصل بين كَالْفِن، و جورجيو بياندراتا (١٥١٦-١٥٨٨) "Giorgio Biandrata" إلى إنكار الأخير للتَّثليث بالكامل، وهو ما شكَّل نواةَ الاعتقاد الأوَّل لهذه الطَّائفة(١).

مع العلم أنَّ تسميتهم بالآريوسية كانت تهمة أو نبزًا لهم ومحاولة لربطهم بالآريويسيين، حيث إنَّ الآريوسيين قلَّلوا من رتبة المسيح إمَّا بكونه ليس ابنًا حقيقيًّا للأب أو بقولهم بتمايز الطَّبيعتين، إلا أنهم قالوا إنَّه إلهٌ مصنوعٌ، أو إلهٌ مخلوقٌ، إلا أن السوسينيانيين اعتبروا أنَّ المسيحَ لا يعدُو كونه أحد المخلوقين(٢).

ولما سبق تمَّ تصنيف مدى انحرافهم عن الخطِّ الكنسيِّ من قبل الكنيسة الكاثوليكيَّة إلى الهرطقيَّة الإلحاديَّة، كما أدانتهم الكنيسةُ الكاثوليكيَّة مرَّاتٍ عديدة بسبب مخالفتهم المجامع الكنسيَّة الأولى السِّت، والتي تقرَّرت فيها العقائدُ الكنسيَّة النَّصرانيَّة(٣).

وكأثرٍ لهذه الطَّائفة على مسيحيَّة القرن العشرين، فيمكن وصفُ المسيحيَّة الحديثةِ على أنها نوعٌ من النَّمط المفتوح، فهي في المقام الأوَّل نشأت داخل البروتستانتيَّة التي تتميَّز بانتهاك واضحٍ للنَّموذج الكلاسيكيِّ المسيحيِّ الكنسيِّ، وتميزت باختراق الصُّورة السَّائدة التي تحقَّقت في مجمعي: "نيقية" و"خلقيدونية"، حيث تشكَّلت البولندية بأثر مباشر من الاهتمامات

---

(١) انظر: السوسينيانية، موسوعة اللاهوت المسيحي:

.p663.Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge .

(٢) انظر:

Kolbrener, W.Journal of the Historical Society 2003 , Academic Journal, SOCINIANISM; CHARGE of Socinianism, The (Book); LESLIE, Charles p.1.

(٣) انظر:

Kolbrener, W.Journal of the Historical Society 2003 , Academic Journal, SOCINIANISM; CHARGE of Socinianism, The (Book); LESLIE, Charles p.1.

الفلسفيَّة -لاسيما المعرفيَّة للحداثة- وفي الجملة يمكن إرجاع الصَّدع بين المسيحيَّة الحديثة والكلاسيكيَّة إلى السوسينيانيَّة(١).

أمَّا معتقدهم تجاه الكتاب المقدَّس؛ فهو المقياس الوحيد الموثوق به للحقيقة، بالإضافة إلى التَّعامل العقليِّ البحث معه، من دون فرض أيِّ سلطة لغير ذلك، ولذلك خرجت نظريَّتهم في رفض الثَّالوث من صلب التَّوراة البروتستانتيَّة، كما ادَّعى العديد من المثيرين للجدل في تاريخهم من الإخوة البولنديين في: (١٦٤٠م) و(١٦٥٠م) أنهم كانوا يعتنقون المسيحيَّة الكتابيَّة الأصليَّة -التي تضمنها العهد الجديد- رافضين التراكمات ما بعد الرَّسوليَّة لمجتمع نيقية في القرن الرَّابع(٢).

كما أنَّ موقفهم من الوحي والعقل هو لا شكَّ موقف مضادٌّ للنَّصرانيَّة الكنسيَّة بكافَّة أشكالها، التي ترى في العقل صورةً للضَّلال وبتغييبه صورة الحقِّ، وأقرب مثال على ذلك إيمانهم بالتَّثليث، كما أن صوتَ العقل في هذه الطَّائفة أشدَّ تأثيرًا على معتقدها مقارنةً بالطَّوائف الأخرى كما يقرر ذلك أحد كبار منظريهم، وهو جون كريل (ت ١٦٣٣م) في كتابه "De Deo et ejus Attributis"، "إنَّ الأسرار تعلو في الواقع فوق العقل؛ لكنَّها لا تنقضه، فهي لا تطفئ نورَه بأيَّة حالٍ من الأحوال، ولكنَّها تكملها فقط"(٣)، وهذه النَّظرة للعقل تعطيه حجمه الواقعيَّ في مقابل الوحي، فهو يرى أنَّ الوحيَ فيه سرٌّ لا يدركه العقل؛ لكن لا يمكن أن يكون نقيضًا له.



(١) انظر:

,Alan J. Spence , Bloomsbury T&T Clark 2008 p.77-89Christology ,A Guide for the Perplexed .

(٢) انظر:

SEAGER, N. (2014). John Bunyan and Socinianism. The Journal of Ecclesiastical History, 65(3), 580-600. doi: 10.1017/S0022046913000596.

(٣) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

المبحث الثالث

تعقيب نقدي

يبدو جليًّا في معتقد هذه الطَّائفة عدم اتِّساقها نهائيًّا مع الاعتقاد الكنسيِّ النيقاوي، بكافَّة طوائفه، فإنكار التَّثليث، وإنكار الخطيئة الأصليَّة، وإنكار الفداء بحدِّ ذاتها هي إلغاء للعقيدة النَّصرانيَّة بشكل تامٍّ، كما أنَّ الاتجاه العقليَّ البحت في القضايا النصرانية المتناقضة أوصل هذه الطائفة إلى المرحلة البعيدة من النصرانية النيقاوية، وذلك الاعتقاد المتحرر من التبعية للكنيسة قربها بمراحل إلى إلغاء الاعتقاد بالتثليث والفداء وغيرهما من العقائد النصرانية الأساسية.

كما أنها تقود إلى نظرتهم الأخرى للعدالة الإلهيَّة والشَّرِّ، فهم يرون أنَّه لا يوجد خطيئة أصليَّة تحمَّلها آدمُ وأورثها أبناءه من بعده، فهذا يخالف تمامًا العقلَ والحكمة الإلهيَّةَ، وبناءً عليه نفوا ما يتَّصل بعقيدة التَّبرير بالإيمان(1)، التي هي من أهمِّ العقائد الكاثوليكيَّة(2).

ونجد السوسيناني ينكر خلق المسيح قبل الوجود، أو المساواة مع أبيه وخالقه فالمسيح في طبيعته الإنسانيَّة البحتة هو مخلوق(3)، كما ينكر المذهب الآريوسي الذي يرى في المسيح وسيطًا للخلق، أو سبقًا للمخلوقات بعد وجود الربِّ الخالق، وهذه الفروق العقديَّة دقيقة بينهم، حتى لا يتمَّ الخلط بينهم وبين الآريوسيَّة بحكم رفض الطَّائفتين سويًّا الاتجاه الكنسيَّ المعاصر.

ومع ذلك الموقف المفصَّل من الاعتقاد غير السَّائد إلا أنَّ لهم موقفًا عامًّا في المعتقد، وهو أنَّه يجب في الأصل تقليل التَّفصيل في مسائل الاعتقاد، وتكثيف الجهود بدلاً عن ذلك على الأخلاق الفاضلة، وفهم مسائل العقيدة بطريقة عقلانية بحتة بعيدًا عن الفهم الكنسي

---

(1) التبرير: مصطلح نصراني يدور معناه حول البراءة من الذنب والفوز بالخلاص الأبدي، ويعد النصارى العهد القديم هو دينونة لهم بخلاف العهد الجديد الذي يبررهم أو يبرؤهم بمجرد الإيمان به، ومع اختلاف واسع في كيفية التبرير.انظر: الخلاص العظيم، ف. ب. هول، تعريب فارس فهمي، نشر الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، ص ١٢.

(2) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

(3) انظر:

SEAGER, N. (2014). John Bunyan and Socinianism. The Journal of Ecclesiastical History, 65(3), 580-600. doi: 10.1017/S0022046913000596.

المتناقض، كما أنَّ فلسفتَهم في التَّشريعات تدورُ حول العلمانيَّة بشكل كبيرٍ، ويرون أنَّ الحياةَ المدنيَّةَ لا يمكن أن تستقيمَ بدون فصل الكنيسة عن الدَّولة، بل كانت أول طائفة معاصرة تقدِّم هذه الصِّياغة بشكل مباشرٍ(١).

أدانت الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ تلك الطَّائفة باعتبارها طائفةً مارقةً عن خطِّ المسيحيَّة السَّائد، وكان سببُ الإدانة هو معارضتهم التَّعاليم الصَّريحة للمؤتمرات الكنسيَّة السِّتَّة(٢).

ثمَّة إشكاليَّة أخرى بالنِّسبة للنَّصارى في علاقتهم بهذه الطَّائفة، وهي: اتهامُها بالجذورِ الإسلاميَّة، سواءً في أفكارها أو عرقها، فأجدادُ مؤسِّسيها هم من إسبانيا التي عاش فيها الموريسكون(٣)، وهم الطَّوائف المسلمة التي رضيت بحكم النَّصارى على الأندلس في ذلك الوقت، ثم تحوَّلت بعد ذلك تدريجيًّا إلى المسيحيَّة؛ لكن نزعة الفكر الإسلاميِّ التي ترفض التَّثليث والفداء بقيت عندهم ثمَّ توارثوها؛ قد تكون هي التي ظهرت على السَّطح حينما سنحت الفرصةُ في القرن السَّادس عشر، خاصَّة مع البلدان التي أعطتهم مساحةً واسعةً من الحرِّيَّة الفكريَّة، مثل: بولندا.

ومن وجهة نظري أنَّه لا انفكاك عن القول أنهم تأثَّروا بالمسلمين في القول ببشريَّة المسيح، وطبيعته الإنسانيَّة وإنكار التَّثليث، وإنكار الفداء والخطيئة الأصليَّة، تلك الأمور التي تناقض العقل، والتي أتى الإسلامُ بالقول الفصل فيها منذ بعثة النبي محمد، فلا عجب أنهم بعد اختلاطهم بالمسلمين، وبعد انفكاك سطوة الكنيسة عنهم إبان عصر الإصلاح الكنسي، تأثروا بتلك الآيات التي تنكر التثليث والفداء، وهم وإن لم يسلموا، ولكنهم ابتعدوا عن مناقضة العقل والفطرة واقتربوا من الحقِّ الذي لا يصحُّ إلا هو، ومع ذلك فمن وفق منهم

---

(١) انظر: السوسينانية، دائرة المعارف البريطانية: https: //www.britannica.com/topic/Socinians.

(٢) يمكن تعريفهم بأنهم مسلمو الأندلس في الأصل، ثم تم تعميدهم على المذهب الكاثوليكي عام ١٥٠٢م بموجب مرسوم الملكين الكاثوليكيين، وهؤلاء هم الذين كتبت عنهم ما يسمى: "الكتب الخضراء" التي فضحت -كما يسمونها- ادعاءهم أنهم من النبلاء بينما هم من أصول مسلمة أو يهودية أندلسية. انظر: تاريخ الموريسكيين، حياة ومأساة أقلية أنطونيو دومينغيث وبيرنارد فانسون، ترجمة محمد بنياية، ط٢٠١٣، نشر كلمة وهيئة أبوظبي للثقافة، ح ١، ٢، ص ٧-٨.

(٣) انظر: السوسينيانية، الموسوعة الكاثوليكية: https: //www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.

للابتعاد عن السُّلطة المجتمعيَّة للكنيسة كان أقرب للحقِّ إذا منح حريَّة اختيار المعتقد، ولذا أسلم مجموعةٌ منهم ممن التقى بالمسلمين في البلدان المتاخمة لبولندا أو القريبة منها، مثل: الدَّولة العثمانيَّة(١).

كما أنَّه للأهميَّة بمكان أنهم وإن كانوا بعيدين عن الاعتقاد الكنسيِّ النَّصرانيِّ، ومحافظين على تصوُّرهم السَّليم عن طبيعة المسيح في كونه مخلوقًا، إلا أنَّه لا يجوز الاعتقادُ بأيِّ شكلٍ من الأشكال أنهم مسلمين أو قريبين من الإسلام ما داموا يقدِّمون العبادة للمسيح، حتى وإن لم يعتقدوا أنَّه جزءٌ من الإله، أو أقنومًا ثانيًا، فالشِّرك عند المسلمين منضبطٌ وصفًا ومرتبةً، وهذا من الشِّرك الأكبر المخرجِ من الملَّة الذي لا خلاف فيه، مع غضِّ الطَّرف لماهيَّة العامل الذي أدَّى إلى تباعدهم عن النَّظرة النَّصرانيَّة واقترابهم من العقيدة المسلمة، سواءً تأثُّرهم بالمسلمين، أو تسلسلهم مع الانقياد العقليِّ في عصر النَّهضة، أو العاملان سويًّا.

مع أنَّ بعض الباحثين يرى أنَّ نزعةَ الاعتقاد لديهم في شخصيَّة المسيح هي نزعةٌ يهوديَّةٌ بحتةٌ، وهي تجسيدٌ للمسيح الذي وعد به اليهود في العهد القديم، وليست هي الشَّخصيَّة النَّصرانيَّة التي تُصوِّره بالفادي والمخلص(٢).

والحقيقة أن هذه الطائفة تتفق مع اعتقاد المسلمين في مجموعة من النقاط التي من أهم ما يميزهم عن النصارى، وهي اعتقادهم في الذات الإلهية في وحدتها وخلقها للخلق، وبشرية المسيح، وعدم وجود خطيئة متوارثة، ولا كفارة أو فداء بهذه الخطيئة.

مع اختلافٍ واضحٍ بينها وبين العقيدة الإسلاميَّة في مسألة القدر، فالمسلمون بكافَّة طوائفهم أجمعوا على مسألة القدر في الجملة، مع الخلاف المشهور في بعض التَّفاصيل بين أهل السُّنَّة والجماعة والأشاعرة من جهة، و المعتزلة ومن سلك طريقتَهم في إنكار خلق الأفعال، وهذه الطَّائفة السوسينانية مع إنكارها القدرَ إلا أنها لا تنكر العلم السَّابق من الله، بل تقرُّ به في

(١) Socinianism, Islam and the Radical Uses of Arabic Scholarship Martin Mulsow Erfurt UniversityAl-Qan?ara ,XXXI 2, julio-diciembre 2010 , pp. 549-586 , ISSN 0211-3589.

(٢) Marian Hillar , The Philosophical Legacy of the 16th and 17th ,Century Socinians Their Rationality Texas Southern University http: //www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm.

الجملة مع اعتقادها أنَّ الله -جل وعلا- قد تخفى عليه بعضُ تفاصيل ما سيحدث في المستقبل من أشياء دقيقةٍ ونادرةٍ(١)، وهذا الاعتقادُ هو اضطرابٌ في المذهب لديهم، فإقرارُهم بالعلم السَّابق ينفي كلِّيَّةً هذه النَّظريَّة الشَّاذَّة، كما أنَّه يخالف النُّصوص التي يُقرِّون هم بقطعيتِها وثبوتها، مثل: ما ورد في سفر أيوب (٢٨) من سعة علم الله الذي لا يخفى عليه شيءٌ.

كما أنها فارقت تمامًا الاعتقادَ الإسلاميَّ في: المعاد، والحشر، والجحيم، مع خلافٍ بين المتقدِّمين والمتأخِّرين بين الإبادة الكلِّيَّة للأشرار، ورجوع الأرواح للخيِّرين كما هو اعتقاد الجيل الأوَّل، وبين اعتقاد الجيل المتأخِّر في عودة الأرواح كلِّها(٢).

كما أنَّ اعتقادَ هذه الطَّائفة في قدسيَّة أقوال المسيح من حيث كونها تشريعًا ووحيًا من الله، وعدم الالتفات إلى بولس أو غيرها في التَّشريع هو ذاته لبُّ الاعتقاد الإسلاميِّ في رسالة المسيح، مع الاختلاف في النَّظر إلى المحتوى، فهذه الطائفة ترى أن الغرض من رسالة عيسى بشكل كبير هو الرسالة الأخلاقية بخلاف المسلمين الذين يرون أن دعوة عيسى هي في أصلها وحيٌ يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويتبع ذلك ما يجيء به الأنبياء من شرائع وأخلاق.

ولذلك لخَّص "ماريان هيلر" عقيدةَ هذه الطَّائفة وتطوُّرها في هذه السُّطور فقال: "تمثل عقائدُ السوسينيون ردَّةَ فعلٍ عقلانيَّة على اللاهوت في العصُور الوسطى على أساس الخضوع لسلطة الكنيسة، على الرغم من أنهم احتفظوا بالكتاب المقدَّس، فقد حلَّل السوسينيون الكتابَ المقدَّس بعقلانيَّة، واعتقدوا أنَّه لا ينبغي قبولُ أيِّ شيءٍ غيره كمشرِّعٍ، خضع فكرُهم الاجتماعيُّ والسِّياسيُّ لعمليَّةٍ تطوريَّةٍ مهمَّةٍ من اتجاه سلميٍّ طوبويٍّ للغاية، يدين المشاركة في الحرب، ويَحمِل المنصب العامَّ والقضائيَّ نحو موقفٍ معتدلٍ وواقعيٍّ قائمٍ على الحبِّ المتبادل،

---

(١) انظر:

M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature 844-45, New York: Harper & Brothers, 1894. By: http: //www.victorianweb.org/religion/socinianism.html

(٢) Marian Hillar , The Philosophical Legacy of the 16th and 17th ,Century Socinians Their Rationality Texas Southern University http: //www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm.

ودعمت هذه الطَّائفة السُّلطة العلمانيَّة للدَّولة، والمشاركة النَّشطة في المجتمع والحياة السِّياسيَّة، ودافعت عن المساواة الاجتماعيَّة، خاصَّةً ما يتعلَّق بحقوق الفلاحين، وكانوا أوَّل مسيحيين يفترضون الفصل بين الكنيسة والدَّولة، وروح الحريَّة الدِّينيَّة المطلقة التي عبَّرت عنها ممارستُهم وكتاباتُهم، والتي مهَّدت لكلِّ الثَّورات اللاحقة لصالح الحرِّيَّة الدِّينيَّة، حيث تمَّ توسيعُ أفكار السَّلائف للسوسينيين فيما يتعلَّق بالحرِّيَّة الدِّينية في وقتٍ لاحقٍ، وأتقنها وشجَّعها كلٌّ من: "لوك" و"بيار بايل"، وتمَّ نقلُ أفكار "لوك" إلى أمريكا بواسطة "جيمس ماديسون" و"توماس جيفرسون" اللذين قاما بتنفيذها في التَّشريع الأمريكيِّ"(١).

وفي الأخير أشير إلى أنَّ هذه الطَّائفة امتدَّ تأثيرُها فيما بعد ذلك إلى كبار رجالات النَّصرانيَّة ممَّن لهم تأثيرٌ مباشرٌ على الفكرِ النَّصرانيِّ المعاصر في نزعته الحديثة، مثل: "نيوتن"(٢)، و"جون لوك"، و"توماس جيفرسون"(٣) وغيرهم، وهؤلاء وإن لم يكونوا نصارى سوسيانيين؛ فإنهم تأثَّروا بهم من حيث الاتجاه العقلانيِّ وظهر ذلك في إنكارهم التَّثليث، وإنكار الخطيئة الأصليَّة، وإنكار الفداء، ووجود التَّحريفات الكثيرة في مفاهيم المسيحيَّة البسيطة التي أتى بها المسيح، وهذا بحدِّ ذاته يشكِّلُ ثقلًا كبيرًا وتأثيرًا كبيرًا في مفهوم مسيحيَّة الكنيسة المعاصرة.



(١) Marian Hillar , The Philosophical Legacy of the 16th and 17th ,Century Socinians Their Rationality Texas Southern University http: //www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm.

(٢) انظر: وصف تاريخي لتحريف نصين من الكتاب المقدس "التثليث والتجسد " نيوتن، إسحاق،، ترجمة هيثم سمير وآخرون، ط١، ٢٠١٦ م، بيروت، ص ١٣، ونيوتن هو عالم الرياضيات والفيزياء الشهر، ت ١٧٢٧م.

(٣) Marian Hillar , The Philosophical Legacy of the 16th and 17th ,Century Socinians Their Rationality Texas Southern University http: //www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد درست هذه الطَّائفة من حيث تأريخها وعقيدتها دراسةً وصفيَّةً، وخرجت بهذه النَّتائج:

١- نشأت هذه الطَّائفة في القرنين السَّادس والسَّابع عشر، في ذروة زمن الإصلاح الكنسيِّ، وقويت في أكثر الأماكن أمنًا وبعدًا عن السُّلطة الكنسيَّة في بولندا، واتسمت بسرعة انتشارها واكتسابها القوَّةَ المذهلة بسبب الظُّروف التي توافرت لهم، بالإضافة إلى المنطقيَّة النسبية التي تحملها مقابل اللامنطقية في العقيدة الكنسيَّة السَّائدة.

٢- أهمُّ ما يميِّز عقيدة هذه الطَّائفة هي إثبات وحدانيَّة الله، وتفرُّده بالخلق، وإنكارُ العقائد الرَّئيسة للنَّصارى: التَّثليث، والفداء، والخطيئة الأصليَّة.

٣- وافقت هذه الطَّائفة المسلمين في وحدانيَّة الله -جلَّ وعلا- وتفرُّدِه بالخلق، كما وافقت المسلمين في تصوُّرهم أن المسيح بشر مخلوق.

٤- خالفت هذه الطَّائفةُ المسلمين في تقديمِ العبادة للمسيح، وإنكارِ المعاد على خلافٍ بينهم في تفصيله، وإنكار الجحيم بدون خلافٍ بينهم، والإخلالِ بمسائل علمِ الله المسبقِ بكلِّ تفاصيل القدر، كما خالفت المسلمين في نفي علم الله بالجزئيات ونفي تقديره.

٥- أثَّرت هذه الطَّائفة في كلِّ الطَّوائف التَّوحيديَّة التي أتت بعدها، وقدَّمت لهم اعتقادًا بعيدًا عن التَّصوُّر الكنسيِّ السَّائد، ولعلَّ هذا الاعتقاد الحديث هو أقرب من النَّصرانيَّة السَّائدة للإسلام، وأبعدُ بكثيرٍ من التَّصوُّر الكنسيِّ لعقائد النَّصارى: الكاثوليكيَّة، والبروتستانتيَّة، والأرثوذكسيَّة.



التوصيات

١- هذه الطَّائفة تستحقُّ مزيدًا من الدِّراسات العلميَّة الجادَّة والمتقصيَّة، من وجهة نظرِ الباحثين المسلمين، فليست طائفةً على هامش التَّأريخ، بل هي إحدى أهمِّ طوائف الموحدين وأتباعها، أو على الأقلِّ المتأثِّرين بها "نيوتن" و"جون لوك" و"جيفرسون"، وغيرهم، فهي مستحقَّة لدراسةٍ بحثيَّةٍ دقيقةٍ من كلِّ جوانبها.

٢- هذه الطَّائفة تستحقُّ الحوارَ معها والجدل بالتي هي أحسن، فالاتجاه العقلانيُّ الذي يدعونه يستوجب طرحَ الأسئلة ذات الاتجاه العقلانيِّ بنفس الطَّريقة التي استخدمتها هذه الطَّائفة مع الكاثوليك؛ لكن من زاوية تحريف الكتاب المقدس، ومن زاوية سبب عبادة المسيح، ومن زاوية عذاب النَّار.

٣- تقدِّم هذه الطَّائفة كما تدَّعي مبدأ التَّسامح مع مخالفيها في المعتقد، وهذه ميزةٌ تستحقُّ أيضًا أن تستقصى بالدِّراسات التي تعنى بفلسفة الأخلاق، وإعادة تقييم التَّنظير لديهم مع الواقع العمليِّ لتطبيق تلك النَّظريَّة التي تدَّعيها هذه الطَّائفة.

والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المصادر العربيَّة

- أنطونيو دومينغيث وبيرنارد فانسون، تاريخ الموريسكيين، حياة ومأساة أقلية، ترجمة محمد بنياية، ط٢٠١٣م، نشر كلمة وهيئة أبوظبي للثقافة.
- طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها دراسة مقارنة، رسالة دكتوراة، دراسة مقارنة ممنوحة من جامعة الملك سعود، من إعداد: د.إنعام محمد عقيل، ط١ – ١٤٣٥هـ.
- رزهيلنيس، جون، معجم الأديان، ترجمة هاشم أحمد محمد، مراجعة عبدالرحمن الشيخ، ط١، ٢٠١٠م، المركز القومي للترجمة، جامعة القاهرة.
- نيوتن، إسحاق، وصف تاريخي لتحريف نصَّين من الكتاب المقدَّس "التثليث والتجسُّد"، ترجمة هيثم سمير وآخرون، ط١، ٢٠١٦م، بيروت.
- الموسوعة الميسرة – مجموعة من الباحثين، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٠هـ.
- لوريمر جون، تاريخ الكنيسة، ترجمة عزرا مرجان، ط١، دار الثقافة، القاهرة.



المصادر الأجنبية

- Christology ,A Guide for the Perplexed ,Alan J. Spence ,Bloomsbury T&T Clark 2008..
- Encyclopedia Britannica , 2008 Ultimate Reference Suite DVD (Windows). First published 2004 by Routledge , Published 2014 by Routledge , 2 Park Square, Milton Park, Abingdon, Oxon OX14 4RN , 711 Third Avenue, New York, NY, 10017, USA.
- http//www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm.
- http//www.bu.edu/wcp/Papers/Reli/ReliHill.htm..
- http: //www.newadvent.org.

- https//www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.
- JOHN M'CLINTOCK, AND JAMES STRONG Cyclopaedia of Biblical, theological, and ecclesiastical literature , S.T.D.NEW YORK: HARPER & BROTHERS, PUBLISHERS, FRANKLIN SQUARE. 1880.
- Kolbrener, W.Journal of the Historical Society 2003 , Academic Journal, SOCINIANISM; CHARGE of Socinianism, The (Book); LESLIE, Charles..
- Lacoste, J.Y. (Ed.). (2004). Encyclopedia of Christian Theology. New York Routledge .https//people.wku.edu/jan.garrett/socinus.htm.
- Marian Hillar , The Philosophical Legacy of the 16th and 17th ,Century Socinians Their Rationality, Texas Southern University.
- M'Clintock, John, and James Strong. Cyclopædia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature, New York Harper & Brothers, 1894. By http//www.victorianweb.org/religion/socinianism.html.
- SEAGER, N. (2014). John Bunyan and Socinianism. The Journal of Ecclesiastical History.

  https//www.catholicity.com/encyclopedia/s/socinianism.html.
- Socinianism, Islam and the Radical Uses of Arabic Scholarship Martin Mulsow Erfurt UniversityAl-Qantara ,XXXI 2, julio-diciembre 2010 , ISSN 0211-3589.
- THE ENCYCLOPEDIA OF PROTESTANTISM by Hans J. Hillerbrand (Author).

